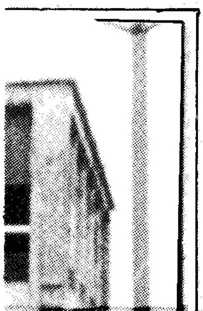
د. بندركار و٣٠ عامًا في البحرين

مستوصف المحرّق

طبيب من البُهرة



الدكتور بندر كار : اسم يعرفه الكثيرون في البحرين باعتباره أحد الذين شاركوا في الرعاية الصحية منذ العشرينات من هذا القرن . وقد قضى الطبيب الهندي في البحرين ٣٠ عاما شاهد خلالها الكثير من التطورات التي دارت على هذه الارض الطيبة وسجل الكثير من الملاحظات التي احتفظت بها ذاكرته . وفيما يلي من صفحات نقدم بعض ملامح هذه الذكريات تسجيلا للتاريخ من شاهد عيان .

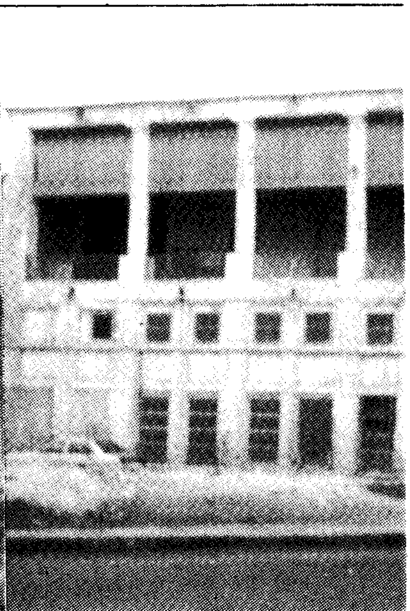
اتصل بي أحد أصدقائي في شهر ابريل عام ١٩٢٥ يخبرني انه قرأ اعلانا في جريدة (بومبي) يطلب طبيبا للعمل في البحرين ويقول انه تقدم لشغل هذه الوظيفة الا انه حصل على وظيفة أخرى بالهند ويسألني اذا كنت راغبا في ان أحل محله ووافقت ثم سافرت على الفور الى بومبي ومن هناك أرسلت برقية للطبيب الجراح الذي كان يعمل في المعتمدية البريطانية بالبحرين تفيد اعتذار صديقي ورغبتي في أن أحل محله . وتلقيت برقية بالموافقة وبدأت الاستعداد للرحيل . ومن بومبي سافرت على ظهر سفينة بريطانية هندية وبعد ١٥ يوما وصلت الى البحرين في النصف الثاني من شهر مايو عام ١٩٢٥ . وفي البحرين كان في انتظارنا مجموعة من السفن للترحيب بنا وكانت من طراز (الداو)



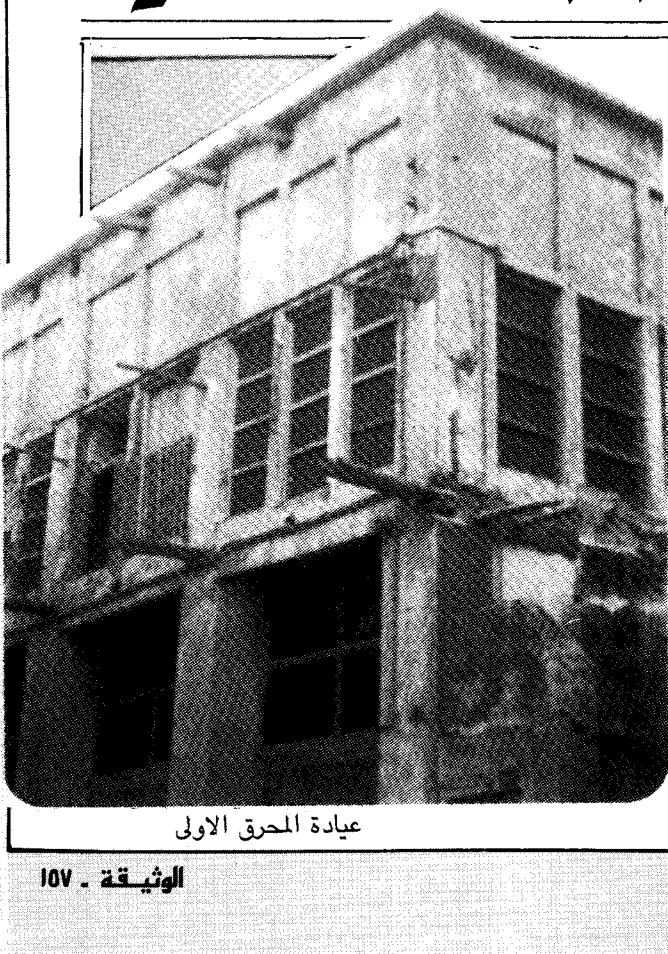
د. بندكار

كان دكاناً صغيراً أشرف عليه

ويعالج بالطبّ الشعبي اليوناني



عيادة المحرق الثانية



عيادة المحرق الاولى

محاضرة للدكتور بندر كار
قدمت سنة ١٩٥٥

كما كان معها سفينة يركبها الطبيب الجراح بدار المعتمدية والذي كان يعتبر رئيسي المباشر وقد ركبت معه في سفينته التي نقلتنا الى الشاطىء . وبعد أيام باشرت عملي فوق مركب خصص لي وهو من طراز (البوم) وحمولته بين ٥٠ و٩٠ طنا وهو مصقول ولامع وقد طلي باللون الابيض حتى يسهل على سفن الغوص التعرف عليه من بعيد . وكانت مهمتي الرئيسية هي ان أكون بمثابة طبيب لهذا المستشفى العائم الذي يتجول بين مغاصات اللؤلؤ طوال موسم الغوص لتزويد الغواصين بحاجتهم من الدواء والعلاج السريع . وكانت معظم الامراض الشائعة في المغاصات هي السعال والزكام والنزلات المعوية التي كانت تصيبهم نتيجة تسخين الطعام المكون من السمك والتمر أكثر من اللازم كما كان الغواصون يشكون من آلام الأذن والنزيف الذي كان يصيبها نتيجة ضغط الماء في الاعماق . كما قمت بخلع مئات الاسنان التالفة . وقد وجدت الجميع متعاونين معي الى أقصى درجة وكانوا يشعرون بالعرفان لهذه الرعاية الطبية التي تم توفيرها بناء على مبادرة من صاحب السمو الشيخ عيسى بن علي آل خليفة .

وكان علي أن أقوم بجولة على المغاصات فوق السفينة المستشفى وهي جولة تستغرق بين ثلاثة أو اربعة اسابيع في كل مرة قبل ان أعود الى الميناء للتزود بالمؤن والأدوية والضمادات والوقود والماء العذب ثم أبدأ على الفور جولة ثانية في المغاصات وهكذا طوال موسم الغوص . وكنت احتفظ معي بسجل حول حالة الطقس وقائمة بأسماء المرضى الذين تلقوا العلاج ونوع الامراض وكنت أرسل هذا التقرير الى السلطات المختصة عقب كل موسم .

وفي عام ١٩٢٥ لم تكن هناك مكاتب ادارية حكومية فيما عدا مكتب للجمارك في مبنى قديم تم ترميمه ومبنى اداري صغير فيه كاتبان أحدهما عربي وقد توفي والثاني هندي من ولاية البنجاب وقد تقاعد أخيرا . أما ادارة المستشار فقد تم تأسيسها عام ١٩٢٦ .

* * *

في الفترة بين عامي ١٩٢٥ و١٩٣٨ قمت بزيارات منتظمة على ظهر سفينة المستشفى لكل مغاصات اللؤلؤ وكان يصحبني في هذه الجولات مفتش من حكومة البحرين للتفتيش على تراخيص صيد اللؤلؤ وكاتب له ومساعد لي . وكانت السفينة تغادر المنامة في بداية الموسم وكنت أقوم خلال الموسم بأربع أو خمس جولات على المغاصات . وكانت سفينة المستشفى سفينة عادية حتى عام ١٩٣٢ ولكن بعد ذلك خصص لنا أحد اللنشات وكان مزودا بمحرك مما ساعد على القيام بجولات قصيرة وسريعة للمغاصات كانت تستغرق كل جولة بين ثلاثة أو أربعة أيام كما أن عملية تزويد المستشفى بالمؤن والأدوية أصبحت أكثر يسرا وسهولة كما استطعت بذلك أن أنقل المصابين بحالات خطيرة كالحمى أو الالتهاب الرئوي الى المستشفى داخل البحرين .

كنت أزور كل المغاصات حول البحرين شمالا وشرقا وكنا نرتاح لبعض الوقت في جزر حوار أو فشت الديبل أو جراده كما كنا نتزود أحيانا بالماء العذب من خور فشت . وفي السنوات الأولى التي كنت أزور فيها المغاصات بصورة منتظمة كانت هناك حوالي ٧٠٠ سفينة بحرينية تعمل في شمال البحرين وكنت أحيانا أصادف بعض السفن السعودية أو الكويتية أو القطرية ولكنها لم تكن تزيد على ٥٠ سفينة في

المنطقة كلها . وكنا نصادف احيانا سفينة كويتية كانت تزور البحرين للتجارة وتمارس الغوص على اللؤلؤ اثناء رحلتها بينما اقتصر نشاط السفن السعودية على صيد السمك بالقرب من البر الرئيسي أما بعض السفن السعودية الكبيرة فكانت تبحر بعيدا عن الشاطىء وتتجه للشرق . وقد لاحظت في السنوات الاخيرة لخدمتي على السفينة المستشفى انخفاضا في عدد سفن صيد اللؤلؤ لكن أكثرها كانت لاتزال بحرينية وظلت نسبتها كما كانت في السنوات الاولى .

وفي جولاتي كنت أزور كل سفن البحرين وأعالج كل العاملين عليها بغض النظر عن جنسية المرضى وعلى الرغم من أنني لم أزر سفنا غيربحرينية بصورة منتظمة الا انني كنت أقدم المساعدة الطبية لكل من يطلبها من هذه السفن دون تفرقة .

وكان لا بد ان يكون لدى كل سفينة من سفن الغوص ترخيص بالعمل وكان المفتش الحكومي الذي يرافقني يقوم بفحص هذه التراخيص وكان كاتبه يسجل اسماء قادة السفن وعدد الغواصين في كل سفينة .

* * *

أثناء عملي كنت أسمع حكايات من الغواصين معظمها يدور حول تعرضهم للهجمات من البدو المسلحين الذين كانوا يهاجمونهم من البر الرئيسي في زوارق صغيرة . وكانت هذه الهجمات تقع بالليل في الظلام الدامس وعندما يكون الغواصون غارقين في النوم العميق بعد يوم من العمل الشاق . وكانت هذه الهجمات تستهدف التجار الذين لديهم كميات كبيرة من اللآلىء والأموال كما كان المهاجمون يستولون على الأرز والمؤن الاخرى . ولكن سفينتي والسفن المجاورة لها اثناء جولاتنا لم تتعرض على الاطلاق لأي من هذه الهجمات ذلك لأن اللون الابيض لسفينة المستشفى كان يدل على انها سفينة حكومية مما كان يحميها ويحمي السفن المجاورة لها من هذه الهجمات .

وقد أخبرني بعض صيادي اللؤلؤ بأن (النواخذة) كانوا رجالا مستبدين وانهم كانوا يعاملونهم بغاية القسوة كما كانوا يجوعون الغواصين الذين لا يمتثلون لأوامرهم لكنني شخصيا لم أصادف مثل هذه الحالات ذلك لأن حكومة البحرين كانت متيقظة وكانت تستمع لأي شكوى يتقدم بها الغواصون كما كان من حق أي غواص ان يطلب تعويضا عن أى ظلم تعرض له اثناء موسم الغوص . واذا مات أحد على ظهر احدى السفن فإن جثته كانت تنقل الى البحرين ويتم ابلاغ الحكومة بالوفاة كما كان يجرى فحص الجثة قبل التصريح بدفنها ولم تلق جثث في البحر قط .

أما سفن الغوص فكانت ثلاثة انواع :

سفينة كبيرة تحمل بين ٦٠ شخصا بينهم حوالي ٣٠ أو ٣٥ غواصا والباقون من السيوب وغيرهم من العمال بالاضافة الى النوخذة وقائد السفينة . أما السفينة المتوسطة فكانت تحمل بين ٤٠ و٥٠ شخصا والصغيرة بين ١٠ و١٥ شخصا . ولما كان عدد السفن يتراوح بين ٦٠٠ و٧٠٠ سفينة فإن عدد الاشخاص الذين يشتركون في موسم الغوص كان يتراوح بين ٢٠ و٢٥ الف شخص . وكان بينهم عدد كبير من الوافدين من الساحل الايراني والجزيرة العربية يجلبهم أصحاب السفن البحرينيون للعمل بشروط مغرية . وقد سمى معظم المغاصات بأسماء عائلات بحرينية عربية شهيرة وهي العائلات التي اكتشفت هذه المغاصات

سواء داخل المياه الاقليمية أو خارجها .

وقد تأثرت تجارة اللؤلؤ ايضا بسبب الكساد الاقتصادي الذي اصاب العالم كله في عام ١٩٢٩ وسجلت تجارة اللؤلؤ تدهورا مستمرا فيما بعد مع أنها كانت مصدرا رئيسيا للاستقرار الاقتصادي . أما السفن التي مازالت تمارس صيد اللؤلؤ حتى اليوم (نوفمبر ١٩٥٥) فهي لا تزيد على ست سفن في موسم للصيد يستمر لأربعة أشهر وعشرة أيام .

* * *

كان الغواصون يبدأون عملهم مع مطلع الشمس وذلك بعد افطار خفيف يتكون من عدة تمرات وفنجان أو فنجانين من القهوة . وكان العمل يستمر حتى غروب الشمس حين يتناول الجميع عشاء ثقيلا يتكون من الأرز المقلي في عصير التمر وكمية كبيرة من السمك المشوى والتمور وكانوا يستخدمون كميات كبيرة من الدهن في اعداد الأرز الحلو .

وكان الغواص يضع ضاغطا على أنفه كما كان يغطي رؤوس أصابعه بقفاز مصنوع من جلد البقر . ولم يكن يرتدي الا مئزرا أو سروالا قصيرا . وكان يغوص مستخدما ثقلا مربوطا بحبل رفيع ويحمل معه سلة خفيفة مصنوعة من الحبال ومربوطة بحبل . أما الثقل فكان يسحب الى سطح الماء بعد ان يصل الغواص للقاع ويبقى الغواص في القاع حيث يجمع في سرعة الاصداف ويضعها في السلة فإذا نفد نفسه هز الحبل في اشارة الى السيب وهو الرجل المكلف بسحب الغواص فيقوم على الفور وبسرعة شديدة بسحبه الى سطح الماء وعادة يقضي الغواص في قاع المغاصة حوالي دقيقة ونصف دقيقة في كل مرة ويقضي فترة الراحة بعد كل ١٠ غيصات وتعمل فرقة ثانية من الغواصين بالتناوب وفي فترة الراحة يكون الغواص في أشد الحاجة الى الانعاش بالقهوة والتمر . ومن المناظر الرائعة التي لا تنسى منظر المغاصات حيث تجتمع السفن فيما يشبه السوق الكبيرة الكثيرة الحركة والضوضاء وحيث يرتفع صوت المؤذنين معلنة عن مواعيد الصلاة .

والغواصون يعملون أثناء الظروف المواتية للطقس ولكن عندما كانت تظهر بوادر عاصفة في الأفق فإن المراكب الشراعية كانت تسرع بالابحار الى مكان آمن مثل فشت الجارم حيث تبقى هناك الى ان تنجلي العاصفة ويتحسن الطقس من جديد .

* * *

في بداية موسم الغوص وأواخره كان الغواص يصاب غالبا باحتقان في الرئتين ربما بسبب برودة الماء في القاع وكان معظم المصابين يبصقون دما ليوم أو يومين دون ارتفاع في درجة الحرارة ولكني لم أصادف حالات التهاب رئوي أو التهاب شعبي رئوي الا نادرا .

أما المصابون بأمراض الأذن فكانت نسبتهم تتراوح بين ٨٠٪ و٩٠٪ وكانت الاصابات حادة أو مزمنة وكانت مصحوبة في بعض الاحيان بنزيف والسبب يرجع الى تأثير ضغط الماء على الغشاء الطبلي للأذن .

وكانت الصحة العامة للغواصين رديئة جدا وذلك بسبب تناولهم وجبة واحدة في اليوم وبسبب عدم توازن الطعام وافتقاره لكثير من العناصر مع عملهم الشاق .

لقد كانت السفن تبقى في البحر لمدة طويلة وكان الغواصون يعانون كثيرا أما الآخرون كالمجدفين والسيوب فكانوا يتمتعون بصحة جيدة .

* * *

كان تجار اللؤلؤ

يتحركون في مراكبهم الخاصة لشراء اللؤلؤ من سفن الغوص وفي بعض الاحيان كان عدد كبير من التجار يأتون الى المغاصات حيث يعقدون صفقات رائجة جدا وقد قام بعض اصحاب رأس المال من فرنسا وبريطانيا بزيارة البحرين وكان تواجدهم في السوق يؤدي الى رفع الاسعار بالنسبة للؤلؤ . وكان الهنود ذوو الخبرة يحضرون لشراء اللؤلؤ بملايين الروبيات لتغطية احتياجات شبه القارة الهندية من هذه الجواهر . وكانت اللآلىء الممتازة تجد سوقا رائجة في كل من لندن وباريس حيث كان يقبل عليها اصحاب الملايين من السياح الامريكيين لذلك ازدهرت سوق اللؤلؤ في هاتين المدينتين . ولكن بسبب الكساد العالمي فقد بدأت تجارة اللؤلؤ في التدهور ابتداء من الثلاثينات يضاف الى اسباب التدهور عدم اهتمام الجيل الجديد بالغوص بسبب ما يتطلبه من جهد ومشقة وما يتطلبه ايضا من الابتعاد عن المدينة والبقاء في البحر لمدة طويلة . وفضل كثير من الشباب وخاصة المتعلمين الالتحاق بوظائف في شركات النفط بكل من البحرين والسعودية نظرا لما توفره الوظيفة من دخل ثابت ومستقر وقد أدى ذلك الى ظهور نقص شديد في الايدي العاملة في الغوص على اللؤلؤ وتدني الحصاد السنوي حتى لم يعد يجاوز حاليا (سنة ١٩٥٥) الـ خمسة ملايين روبيه سنويا مقابل ٥٠ أو ٦٠ مليونا في العشرينات والثلاثينات .

* * *

كما ذكرت من قبل فقد بدأت عملي في البحرين من أجل تقديم الخدمة الطبية للعاملين في مغاصات اللؤلؤ . وعقب انتهاء موسم الغوص في سبتمبر عام ١٩٢٥ توليت العمل في مستوصف المحرق الذي انشأه سمو شيخ البحرين . والمحرق هي ثاني أكبر جزر البحرين وكان يسكنها في ذلك الوقت معظم افراد العائلة الحاكمة كما أقام عدد من كبار التجار مستودعاتهم ومحلاتهم بها وأصبحت المحرق هي المقر الاداري للدولة تقريبا . وكان الدبلوماسيون الاجانب والاعيان والوجهاء يترددون عليها باستمرار للسلام على سمو الشيخ عيسى بن علي حاكم البلاد وكان المستوصف يقع في دكان صغير طوله ٢٠ قدما وعرضه عشرة اقدام وله باب كبير في المقدمة ونافذة صغيرة في جانب واحد وتنقصه التهوية والاضاءة . وكان يديره قبل حضوري للبحرين طبيب من طائفة البهرة ويمارس العلاج فيه على اساس الطب اليوناني الشعبي القديم . وتصادف بمجرد استلامي العمل في المستوصف أن وقع حادث سيارة مما أدى لوفاة أحد الاشخاص واصابة عدد آخر بجراح ولم تكن بالمستوصف أي ضمادات أو ابر لخياطة الجروح أو خيط كما ان المستوصف نفسه كان من الصعب الوصول اليه بالسيارات نظرا لسوء الطرق المؤدية اليه . وقد بذلت أقصى جهدي لاسعاف الجرحى بكل ما أمكنني تدبيره من مواد وعند وصولي الى بيتي الذي أعد بسرعة في العاشرة مساء كانت هناك كارثة في الطريق ، ففي هذه الساعة المتأخرة تعرضت البحرين والمنطقة المحيطة بها لعاصفة مرعبة فاجأت مئات السفن التي كانت راسية في المغاصات والتي كان آلاف العاملين عليها يرقدون في سبات عميق بعد يوم عمل شاق دون ان يشعروا ببوادر الكارثة في هذه الليلة المشئومة . وفي الصباح التالي أسرع الآلاف

بعد الكارثة أسرعت للغاصات حيث مات

حوالى ٥٠٠٠ شخص ولم ينج سوى واحد

من الرجال والنساء والاطفال الى الشاطىء وقد ارتفع صراخهم وبكاؤهم وهم يحدقون في البحر في ذهول دون ان يعرفوا شيئا عن مصير اقربائهم . وقد تلقيت تعليمات بالتوجه الى البحر في لنش المعتمدية لتقديم المساعدة الطبية وانقاذ من بقى على قيد الحياة . وقد وجدنا مئات السفن مقلوبة وطافية فوق سطح الماء ولكننا لم نجد أثرا للضحايا فيما عدا شخصين تعلقا بحطام احدى السفن وقد توفى احدهما من التعب قبل ان نصل للميناء . وقد بلغ عدد الغرقى حسب التقديرات المعتدلة خمسة آلاف شخص . وقد ظل مكتب البرقيات مشغولا لمدة اسبوع دون توقف في ارسال واستلام الرسائل من والى أقارب الاجانب العاملين في البحرين للاطمئنان عليهم . وقد تم نقل المستوصف مرتين ولكن ظلت مشكلة التهوية والاضاءة ولم نحصل على أكثر من منضدتين للمرضى حتى عام ١٩٣٨ عندما وصل في ذلك العام أول طبيب رسمي لدولة البحرين كما تم انشاء أول دائرة صحية وفكر هذا الطبيب في نقل المستوصف الى مكان جديد أوسع وأفضل تهوية واضاءة ويتوفر له الماء النقي .

* * *

كانت الملاريا من الامراض المهلكة التي فتكت بعدد كبير من الضحايا بين عامي ١٩٢٨ و١٩٣٥ . وكان عدد المصابين يزداد كثيرا في الفترة بين مايو ويوليو وبين نوفمبر ويناير . وقد كنا نستخدم كميات كبيرة من الكينين كل عام للتصدى لهذا المرض المستوطن مما أدى الى ارتفاع اسعار الكينين في السوق لتصل الى ٤٠ روبية للرطل . وفي بعض الأوقات كان هذا الدواء يختفي من السوق تماما . وقد قامت حكومة البحرين بحملة كبيرة للتصدي لهذا المرض فحشدت عددا من الاخصائيين ومساعديهم من الهند وشكلت لجنة لمكافحة الملاريا تضم الموظفين الحكوميين وموظفي البلدية والرجال البارزين وبذل المعتمد السياسي جهودا خاصة لوضع خطط استئصال هذا المرض والآن لا نجد مصابا واحدا به سوى بعض الوافدين من المناطق المجاورة مثل ايران ودبي والجزيرة العربية . ومنذ تشكلت الدائرة الصحية بالبحرين يجرى كل عام حملة تطعيم لمواجهة الجدري وهو المرض الذي كان مستوطنا في الماضي . وترسل دائرة الصحة الآن (١٩٥٥) فرق التطعيم الى كل قرية ومدرسة مع فحص كل



سمو الشيخ عبدالله بن عيسى آل خليفة يحضر حفلة استقبال في منزل الدكتور بندركار في بومباي في نوفمبر ١٩٦٣ ●

المسافرين والقادمين والتأكد من حمل كل القادمين لشهادة تفيد التطعيم ضد الجدري كما هو متبع في البلدان المتقدمة . وتبذل دائرة الصحة جهدا كبيرا في تعزيز المعدلات الصحية خاصة بين أطفال المدارس فيزور طبيب رسمي المدارس والمعاهد العامة بصفة منتظمة لفحص التلاميذ ومتابعة مرض التراخوما المنتشر بينهم . وتوالي دائرة الصحة اتخاذ اجراءات الوقاية من الملاريا وهي تحشد مئات العمال لرش الاسواق والمستودعات والاحياء بمادة الـ د. د. ت للقضاء على البعوض والذباب وكذلك رش البالوعات والمجاري بالنفط للقضاء على اليرقات .

ويراقب مفتشو دائرة الصحة العامة المؤهلون بدقة كل الاسواق والفنادق والمطاعم والمرافق العامة في البحرين الحديثة وهي خطوة جديرة بالتقدير . وقد أصبحت دائرة الصحة العامة الآن (١٩٥٥) تحتل مبنى جديدا رائعا ويعمل بها عدد كبير من الكتاب والممرضين تحت اشراف طبيب انجليزي واثنين من المساعدين الهنود احدهما يهتم بالحجر الصحي والآخر بالعيادات المدرسية التي يزداد عددها يوما بعد يوم لمواكبة تزايد المدارس

* * *

وفي عام ١٩٢٥ لم يكن هناك الا مؤسستان طبيتان في المنامة وهي الجزيرة الرئيسية في مجموعة جزر البحرين :

● مستشفى فيكتوريا التذكاري تحت اشراف الطبيب الجراح للمعتمدية البريطانية وقد انشىء هذا المستشفى أصلا من أجل موظفي المعتمدية لكنه كان

يفتح ابوابه للجميع .

● مستشفى الارسالية الامريكية وقد تأسس قبل بداية القرن الحالي وتتوافر فيه اماكن لاقامة المرضى كما تتوافر فيه التجهيزات اللازمة لاجراء العمليات الجراحية ويعمل به جراحون ذوو كفاءة ويتمتعون بشعبية كبيرة وقد غادروا هذه الشواطىء مصحوبين بكل الاعزاز والتقدير ويبرز من بينهم الدكتور باول هاريسون الذي أمضى أكثر من نصف قرن بين عرب الجزيرة العربية ودول الخليج الاخرى الممتدة من مسقط الى الكويت وقد قام باجراء مجموعة من الجراحات النادرة كللت بالنجاح رغم الظروف الصعبة التي أجريت فيها . وقد تم توسيع هذا المستشفى وأصبح يوجد به جناحان احدهما للرجال والآخر للنساء وهما مجهزان بأحدث المعدات الطبية والجراحية ووحدة للاشعة السينية ومختبر . ويقبل على المستشفى مئات المرضى يوميا .

● وقد انشىء المستشفى الحكومي بالبحرين في بداية عام ١٩٣٨ ثم شهد بعد ذلك تقدما رائعا بسبب التخطيط الدقيق والاهتمام الكبير من الحكومة ويضاف اليه كل عام مبنى جديد لتوفير أكبر قدر من الخدمة للمرضى . وقد كان عدد الاسرة في البداية قليلا جدا الا ان هذا العدد أخذ يزداد عاما بعد عام لمواجهة الزيادة المستمرة في اعداد المترددين عليه بعد ان لمسوا ما يوفره لهم هذا المستشفى من علاج ورعاية . وتغطى أبنية المستشفى مساحة تصل الى أربعة أكرات وتقع شمال غرب المنامة وهناك مجمعان يتكونان من طابقين للمرضى الداخليين من الرجال والنساء ويوجد كذلك مبنى جديد واسع يستخدم كجناح خاص لمن يريد ذلك . وتوجد أجنحة خاصة في الأقسام الطبية والجراحية والبصرية للرجال والنساء في المستشفيات . وسعة الأسرة في هذه المستشفيات غير كافية الآن (١٩٥٥) وحسب معلوماتي فإنه يجري حاليا تشييد مبان جديدة لمواجهة الطلب المتزايد من المرضى . وتعمل وحدة الاشعة السينية دون راحة يوميا كما يعمل المختبر الحديث بمساعدة الفنيين بكل طاقته ، ورغم انه كان يوجد طبيب انجليزي واحد في كل قسم يساعده اثنان من الهنود الا انه يوجد الآن طبيبان في كل قسم مع حوالي ١٢ فنيا ذوي مؤهلات عالية وخبرة واسعة كما توجد اليوم ممرضات انجليزيات وهنديات ذوات كفاءة ممتازة ويجرى تشجيع الشباب العرب من الجنسين للتدريب على التمريض والتضميد . وقد بلغ مستوى الجراحة معدلا عاليا جدا بعد تعيين الطبيب الجراح المحنك المستر ولكنس اف. أر. سي. اس .

وقد انشىء مستشفيان للامراض المعدية التي تحتاج الى عزل المرضى وتعالج فيهما الامراض التناسلية والزحار والدرن . ويخرج المرضى منهما بعد تحصينهم وتعقيمهم ضد نشر العدوى . ويجدر بنا ان نذكر هنا ان الامراض التناسلية لا تشكل الآن عقبة كبيرة بسبب توافر المضادات الحيوية والكبريتات . ولكن مرض الدرن سجل ارتفاعا ملحوظا وقد افتتحت لذلك عيادة خاصة بالامراض الصدرية واصبح الناس أكثر وعيا مما ساعد على الاكتشاف المبكر للاصابة وعلاجها على وجه السرعة .

* * *

وكما اتذكر فلم تكن هناك شوارع جيدة لمرور السيارات في السنوات الاولى لقدومي للبحرين مع انه كانت بالبحرين بضع سيارات ولم يكن في استطاعة البلدية بناء واصلاح الطرق في السوق . وقد ظهرت هذه المرافق العامة الى حيز الوجود عندما قرر كل من صاحب السمو الشيخ حمد بن عيسى والشيخ سلمان بن حمد تحديث البحرين خلال ٣٠ سنة . ونشاهد اليوم ثمار جهودهما في البحرين الحديثة والجميلة ، ففي كل مكان نرى الشوارع المرصوفة والواسعة والاسواق والمباني الجميلة والدوائر الحكومية الحديثة ، كما نشاهد باب البحرين الجميل حيث يتسلم حاكم البحرين فيه طلبات رعاياه والتماساتهم كل يوم ، كما نشاهد المحاكم التي تجري امامها المرافعات والتي تصدر الاحكام القضائية مثل أي بلد متقدم . وتتوسع وزارة التربية والتعليم كل يوم حيث تشرف على عدد من المدارس الابتدائية والاعدادية والثانوية كما تم تشييد مبان حديثة جميلة لهذه المدارس . وتبذل الوزارة جهدا لترويج البرامج التعليمية والدراسات المتقدمة ودراسة التكنولوجيا للبنين والبنات . ولم تكن توجد في بداية العشرينات سوى مدرستين للبنين احداهما في المحرق والاخرى في المنامة ويبلغ عدد طلبتهما ٦٠٠ طالب أما الآن فنجد المدارس الابتدائية في كل قرية كبيرة كما نجد مدرستين ثانويتين للبنين والبنات في مبان مختلفة ، ويبلغ عدد الطلبة أكثر من ٨٠٠٠ يدرس لهم المدرسون الأكفاء ذوو المؤهلات العالية في كل من مصر وسوريا ولبنان ويتخرج في المدرسة الفنية النجارون والميكانيكيون كل سنة حيث يتم توظيفهم في شركة النفط (بابكو) والشركات الاخرى المهتمة بالبناء . ويحصل الطلبة الاذكياء على منح دراسية لمواصلة الدراسة العليا في العراق ومصر ولبنان ، كما يرسل بعض الاثرياء ابناءهم الى انجلترا للدراسة ذلك ان اولياء الامور حريصون على تعليم ابنائهم . ويرأس دائرة التربية والتعليم عربي من اسرة بارزة في البحرين وهو رجل كفء في شئون التنظيم ذكي ومتفان في عمله لتوفير فرص التعليم لابناء بلاده وهو يستحق التقدير والثناء لما قام به في هذا المجال .

وتعمل دائرة الجمارك وسلطات الصحة العامة في ميناء البحرين بيقظة تامة ويؤدي رجالهما واجباتهم المختلفة بهمة وغالبية الموظفين من العرب الذين تدربوا في البحرين . ولا يمكن ان نغفل اهمية القانون والأمن فرجال الشرطة والأمن العام مدربون على أعلى مستوى وهم ذوو كفاءة عالية ويعمل في هذا المجال ضباط عرب من الشباب جديرون بكل ثقة ويوجد البوليس في كل تقاطعات الطرق ينظمون المرور وكذلك في الاسواق للحفاظ على الأمن والسلام والأمر الذي يدعو للاطمئنان ان رئيس الشرطة هو شيخ من الاسرة الحاكمة .

* * *

عندما وصلت لهذا البلد الكريم سبق لجد الحاكم الحالي وهو سمو الشيخ عيسى بن علي آل خليفة ان بقي في الحكم لاكثر من نصف قرن وكان يناهز الثمانين من عمره آنذاك فتم تفويض سلطة الحكم الى ابنه الاكبر وخلفه سمو الشيخ حمد بن

عيسى آل خليفة الراحل ووالد الحاكم الحالي صاحب السمو الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة .

وقد كان لي شرف زيارة صاحب السمو الراحل الشيخ عيسى بن علي آل خليفة بصفتي طبيبا أكثر من مرة وقد عالجته مرة من بعض الجروح التي أصيب بها إثر سقوطه . وآخر مرة اسرعت الى سموه عند اصابته بنوبة قلبية توفي بها نتيجة الشيخوخة .

وكان سموه رجلا كريما للغاية واشتهر بالكرم بين رعاياه والاجانب على حد سواء . واعضاء الاسرة الحاكمة والحكام انفسهم يحبون الرياضة والقنص بالصقور فيزورون العربية السعودية لهذا الغرض قبل بداية موسم الشتاء مصطحبين معهم قافلة ضخمة من السيارات وسيارات الجيب التي تحمل المحروقات والأطعمة والصيادين . وفي بداية هذا القرن كان العرب يقومون بالصيد على ظهور الجمال لكنهم الآن (١٩٥٥) يستخدمون السيارات الجيب في مطاردة الفرائس . ويبدأ القنص قبل طلوع الشمس وهم ينطلقون بسرعة لمسافة مئات الاميال وراء فريستهم التي قد تكون طائر الحباري ويرجعون للمخيم في المغرب بأكياس ممتلئة بعدد كبير منها ويحمل الصياد صقرا مدربا على ذراعه ويرفع الغطاء عن عينيه عندما يريده ان ينطلق فيحرك الصقر عينيه برهة وينظر في كل الاتجاهات وهو يلاحظ أي حركة في أي شجيرة مهما كانت بعيدة فينطلق نحوها للانقضاض على الفريسة . وتشعر الحباري لدى انطلاقه بالخوف فتطير تجنبا لمطاردة الصقر ويبدأ القتال بينهما في الجو ثم سرعان ما يسقطان على الارض ويسرع الصيادون عندئذ لانقاذ الفريسة من مخالب الصقر ثم يعطونه قطعة من قلب أو كلية فريسة أخرى تشجيعا له كي يكرر العملية . وتوجد الصقور في شمال ايران حيث يتم الحصول عليها ويساوي الصقر بين ٢٠٠ و١٠٠٠ روبيه حسب سلالته ومستوى تدريبه ويتم تقييم الثمن بواسطة اخصائيين في ذلك . ويدوم القنص عادة لأربعين يوما ويبلغ الحصاد أكثر من ألف طير من طيور الحباري وبعض الغزلان .

وقد اتيح لي في عام ١٩٤١ ان اشارك في القنص ، فقد كان سمو المغفور له الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة يحب القنص وقد شارك في قنص هذا العام وشارك معه ايضا المغفور له الملك عبدالعزيز آل سعود عاهل العربية السعودية وابناؤه وآلاف من رجال البادية كما شارك فيه ايضا حاكم الكويت المغفور له الشيخ احمد الجابر وقد أقيم مخيم القنص بالقرب من الكويت في مكان يسمى القيصومة وبدأ المخيم كمدينة جميلة مزينة بالاعلام والرايات وكان الحكام الثلاثة يغادرون المخيم للقنص بصحبة ابنائهم وأقاربهم بعد صلاة الفجر مباشرة وعقب افطار سريع يتكون من القهوة والتمر ، وكانوا خلال القنص يجتمعون في مكان واحد متفق عليه لتناول الغداء وصلاة الظهر ثم يباشرون بعد ذلك القنص حتى مغيب الشمس . وقد أقام الملك عبدالعزيز لضيوفه مأدبة عشاء قدمت فيها الخراف المشوية والطيور واكوام من الارز والفواكه وكذلك أقام كل من حاكمي البحرين والكويت مأدبة مماثلة وكانت اعداد السيارات وسيارات الجيب

وسيارات النفط والسيارات الكبيرة لركوب الحكام تكون قافلة رائعة المنظر عند خط الأفق وهي تثير سحابة من الغبار والرمال تمتد لعدة أميال . وكان حصاد القنص في هذه السنة ٣ آلاف من طيور الحبارى و١٠٠ رأس من الغزلان . وكانت سن المغفور له الشيخ حمد تزيد على ٧٥ عاما وكان يتبع نظاما صارما في الأكل فرضه الاطباء حفاظا على صحته . وقد شاركت في القنص بصفتي طبيبا لصاحب السمو وقد عالجت اثناء الرحلة عددا من البدو وأطلعت على بعض عاداتهم . وقد توفي صاحب السمو بعد شهر من عودته من هذه الرحلة . وكان رحمه الله كريما نحو رعاياه وقد قام بتنفيذ مجموعة من الاصلاحات فأقام مستشفى

حكوميا جديدا وعددا من المستوصفات ومجموعة من المدارس الابتدائية والثانوية للبنين والبنات ودائرة للاشغال العامة وعددا من الدوائر العامة التي تعمل كلها لتوفير الرفاه للمواطنين . وقد قام سموه بزيارة انجلترا مرتين بدعوة من الحكومة البريطانية وقد حاول الى حد ما تحديث البحرين على غرار ما شاهده في انجلترا . وقد تولى الحاكم الحالي صاحب السمو الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة الحكم في عام ١٩٤١ وهو أيضا مولع بالقنص بالصقور ولكنه مشغول كثيرا بشئون الدولة وقد حظى سباق الخيل باهتمام ملحوظ في الفترة الاخيرة . ويقام السباق مرتين في العام وينفق العائد منه من أجل المرضى المصابين بالدرن الذين يحتاجون للعلاج بالخارج . وتقام المباريات الرياضية كل عام تحت اشراف سلطات التربية والتعليم ودائرة الشرطة وبحضور صاحب السمو وضيوفه الكرام ويحصل الفائزون على الجوائز والهدايا من صاحب السمو . وتشهد البحرين انتعاشا في كل المجالات وخاصة في الاعمال التجارية .

* * *

وفي الختام ليس لي الا ان أعبر عن امتناني وتقديري للبحرين وشعبها التي كانت بمثابة أمي التي عشت في حضنها لأكثر من ٣٠ عاما كما أشكر اسرة آل خليفة التي حظيت برعايتها طوال مدة اقامتي وما كان يمكن ان أواصل عملي طوال هذه الفترة لولا هذه الرعاية الكريمة .

نوفمبر ١٩٥٥

* * *

ومما يذكر أن الدكتور بندركار كان صديقا لكل أهل المحرق وكان يعرف كلا منهم باسمه ، وكانوا هم يطلقون عليه اسم عيسى اعتمادا على الحروف الأولى من اسمه (ايه. إس) وكان الدكتور بندركار يشارك في كل الأعياد والمناسبات لأهل المحرق وكان شديد الحماس للمناسبات الاسلامية وقد أطلق على أولاده اسماء اسلامية فسمى أحد أبنائه باسم عبدالله وهو يعمل الآن في الشئون القانونية باحدى الشركات بالبحرين .

وقد رزق بندركار بستة أبناء وبنتين اشتغل ثلاثة منهم بالطب ، تعمل واحدة منهم في البحرين حاليا وقد توفى د. بندركار عام ١٩٦٤